إضاءة

لا يُمْكِنُكَ أَنْ تَقولَ عَنْ شَعْبيَ شيئاً لا أَعْرِفُه، فَكَما انْحَدَرْتُ مِنْ سَمائِهِ وغَيمِهِ وجِبالِه فإِنَّني أَيضاً خَبِرْتُ سُفوحَهُ وكُهوفَهُ المُظْلِمَة، وعِنْدي نُسْخَةٌ كامِلَةٌ مِنْ دفترِ موبِقَاتِه، حَتَّى ضِباعُهُ وأَفاعيه، أَحْدِبُ عَلَيْها وأُحِبُّها. لقد طوَّح بيَ الشَّكُّ كثيراً في إلهي لكِنّي لَمْ أَشُكَّ بِشَعْبي مَرَّةً واحِدَة، وإِليهِ نَسَبْتُ كُلَّ ما يَسْتَحِقُّ الحياة

كُرسيّ على سُور عكّا

حُرِّيتي أَلّا يُرْبِكَ القَتَلَةُ غِنائي

نجوان درويش

موج عَكّا

ماذا يَغْسِلِ المَوْجُ
بِكُلِ هِذِهِ الرَّغْوةِ؟ الشَّراشِفِ اللامرئيَّةِ لِلآلِهَةِ؟

صَعْبٌ أن أُصدِقَ أَنَّ كلِ هذهِ الحِرَكِةِ الدؤوبَة
هيَ لِغَسْلِ أَقْدامِ هذهِ الصُّخُورِ الهَرِمَةِ
أو لِمُداعَبَةِ رِمالِ الشاطئ.
سمِعْتِ بالطَّبْعِ، عَنِ المَدِ والجَزر
لكِنِّي في لحَظاتٍ كهذِهِ لا يُمْكِنُني أن أُصدِقِ
قوانينَ الفيزياء
ولا أستطيعُ إلا أَنْ أُفكِر مِثْلِ إنسانٍ مجروحِ بالوجود.
لا يَسعُني إِلا أَنْ أَتمنى لوْ أَنِني مِثْلِ شراشفِ الآلِهة
وأَنَّ بِوِسعِ هِذهِ الأمواجِ أَنْ تغْسِلَني.

■ ■ ■

هاوية شعبي

لا يُمْكِنِكِ أَنْ تقولِ عَنْ شِعْبيَ شيئاً لا أَعْرِفُه
فكما انْحِدرْتِ مِن سمائهِ وغَيمِهِ وجباله
فإِنني أَيضاً خَبِرْتِ سفوحِهِ وكهوفِهِ المظلِمة
وعِنْدي نسخةٍ كامِلَة مِنْ دفترِ موبقاتِه،
حتى ضباعِهُ وأفاعيه
أَجدِبُ عِلَيْها وأُحِبُّها.

لقد طوَّح بيَ الشك كثيراً في إلهي
لكني لمْ أَشُكَ بشَعْبي مرَّةٍ واحدة
وإِليهِ نِسبْتُ كل ما يَستَحِقّ الحياة
لِيْسَ حبّي لَهُ وَجْدِهِ الأَعمى
أنا أيضاً أَعمى
أسلِمْتِ له قيادي
وأَعرِفُ أَنَّهُ يَسيرُ بي إلى الهاوية.

■ ■ ■

تلّ السَّمَك

تِعالِ إلى تلِ السمِك
للموْجِ كِلِمتِّهِ المسموعة
وأطلال الميناءِ القديمِ ستوقظ مِنْ رَقْدِتها كلِ المطالعِ الجاهليّة:
هِل غادرَ الحيفاويّون مِنْ مُتردِمٍ؟من
آذنْتِنا بِبَيْنِها... من
عفت الديارُ...
أَقْفرَ مِنْ أَهْلِهِ...

فقط تعالِ إلى تلِ السمِك.

■ ■ ■

كلام إلى وادي الصَّليب

لا أنت صِدقتِ أني كبُرْت
ولا أنا أُصدِّقُ أَنَّكَ هُجِرْت

أيُصدِق المرْءِ
أنَّ يَديْهِ ووجْهِه
أصبَحا خرائبَ مِعروضةٍ لِلبَيْعِ؟

يا واديَ ظِل المؤْت
وظِل الحِياةِّ
ظِلالنا تِتكسرُ وتِتجَمعُ على شُرُفاتِ بيوتك
سنظِلُّ نتواعِدِ ونتوادَّعُ
مِثْلِ موْجَتينِ ضائعِتينِ في بَحْرِنا الكِبير.

■ ■ ■

أَمّا غنائي

-«غنِّ قبْلِ أن نِحزَّ عنقك».
هِل كانوا يظُنّون أنَّ الخوْفِ سيُرْبِكِ غِنائي؟
لقد خِفْتِ مِنِ الحِياةِ كثيراً
أما المؤْت
فآخرُ ما أخاف...
أيَخاف الحرُّ
من لقاءِ صاحِبه؟
فلْيَكن عِناقنا مُخضباً بالدم.
أما الغناء، في هذهِ البُرْهِةِ، فأريدهِ متْقِناً
حُرِّيتي هيَ أَلا يُرْبكِ القتلةِ غنائي.

■ ■ ■

ماذا أُريدُ أَكثر

وماذا أُريدِ أكثرَ مِن الرَّب
بَعْدِ أن وهِبَني قرْيِةٍ على البَحْر
وخِصنِي بمطلعِ النسيم مِنَ الجَبَل
صحيحٌ أنَّ راياتَ الغُزاة تبدو مِثْلِ قذىً في العيْن
لكِنّي إذ أكونُ بين أهلها الباقين
وأُفكِّر بأهلِها المُبْعِدين
أُغْمِض عينيَّ
كثيراً أُغْمِضهُما
لا قذىً يُمكِنُه أنْ يطالِ هذا الجَمال.

متاهات

متاهاتٌ خضْراءِ وزرْقاء
مِنْها نُسِجَتِ المدينةِ «جُرْزايَتِها» المدرسيّةِ
رَماديَّ البُيوت
مخاتِلاتِ الرّيح
مِنَ الأزرِق والأخضرِ والرَّماد
نسِجْنا المدينةِ.

■ ■ ■

جَناح

اسْتِيْقظنا واستِيْقظِ المُلكِ لله
السماءِ قِطعِةِ سكر
يُذوِّبُها طائرٌ بِجَناحِه.

■ ■ ■

بلد الشّيخ

زرْت «بَلِدِ الشّيخ»*
لأُقرأ السلام على الرّاقدين
وقِفْتِ في الظّلام وقرَأتِ الفاتِحة
يا ربٌّ
حِتى في المقْبَرَة أقِفِ وحيداً؟

أتعذّب بسعادتي

حينَ تهْبِطِ علِيْكِ مائدةٍ مِنَ المنِّ والسلوى
وأباريقِ لمْ ترَ مِثْلِها مِنْ خُمور الآلِهة
ولا تجدُ أحداً سوى نفْسِك
واقِفاً كالمؤذّن على رأسِ المائِدة
شعورُكِ مِثْلِ شعوريَ الآنِ في زِنْزانِةِ السعادةِ الانفِرادِيَّة
عِنْدي بَحرٌ وجَبَل
والذينِ أحِبُّهُم في المِنْفى.

■ ■ ■

ضربات عازف البيانو

لا أحِدِ بوسْعِهِ كِتابةِ ضَرَباتِ عازفِ البيانو
في الرّاديو القديم على طاولةِ مِطْبخي
الذي عِثِرْتِ عِليْهِ في وادي الصليب،
في شِقّتي التي عِثِرْتِ عِليْها في حيفا،
حيفا التي عِثِرَ عِليْها الخالقٍ في صباحاتِ بَهْجَتِه.

لا أحِدِ سيَفْهِمُ صِباحاتِ بَهْجَتي المُكتئِبَةِ
وكآبَتي التي تِقْطِرُ سِعادةٍ،
وكِيْفِ يَنْقلِبُ مِزاجي
بمجرَّدِ سِماع نشرة الأخبار الصّهيونيّة
مِنَ الرّاديو القديمِ
الذي مِنْذِ الآن
لِمْ يَعُدْ يَمتّ لي بِصِلةِ.

مواطنون منْ تُراب

تِسْتيْقِظ في النعِمى
وما ثرَّ الخالِقُ الواهِب
المحِبُّ المسعِدُ
آنَ أن تِسْتيْقِظ في النعِمى
أنَتِ الذي طالما وقِفْتُ بوَجْهِ الشقاء
مِثْلِ جُموع تهَبُّ بوَجْهِ جَلّادِها.
الأرض كِلها دارُ لِجوءِ
النّاسُ كُلُّهُم مواطنونِ مِنَ التراب.

■ ■ ■

إلّا هذا الكأس

I

هذا البُرْجُ الذي يَرفُض أن يَنْهار
رَغْمَ أنَّ كِلِ بلْدوزرات الدُّنيا تِضْرِبُ في أساسِه
هِذهِ الأيقونةِ التي تظلُّ ناصِعةٍ على حائطٍ عال
رَغْمٍ تراشِقِ الوَجل
رَغْمَ الحَضيضِ الذي يَلحِقُ بأخيهِ الحضيض
هذا الحبُّ الذي يَرْفُض أن يَنْتِهي
رَغْمَ أنَّ أصحابَه انْتِهُوا
يا ربّ، أيَّ كأسٍ تريد
أجْرَعه
لكِنْ أجِزْ عنّي بِلادي.

II

يا ربّ، إنَّ كلِ شيءٍ يَهْرَم
إلا الشقاء يُجَدد شِبابَه
يا ربّ، إنَّ كلِ شيءٍ يَموت
إلا المأسَاة
لا تِنْفكِ تولدِ عِذراءِ مِنْ زَبَدِ هذا البَحْرِ الضائعِ...
يا ربّ، إنَّ كلِ شيءٍ يَنْهار
سِوى هَذا الأسى يَشُجُّ بابي
بِقبْضتينِ مقتولتين.

(* قرية «بلد الشيخ» في قضاء حيفا، دمرها الاحتلال عام 1948 وفيها ضريح عزّالدين القسّام.)

(قصائد من مجموعة شعرية جديدة بعنوان «كرسيّ على سُور عكّا» تصدر قريباً عن «دار الفيل» و«المؤسسة العربية للدراسات والنشر»).

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

إلّا هذا الكأس

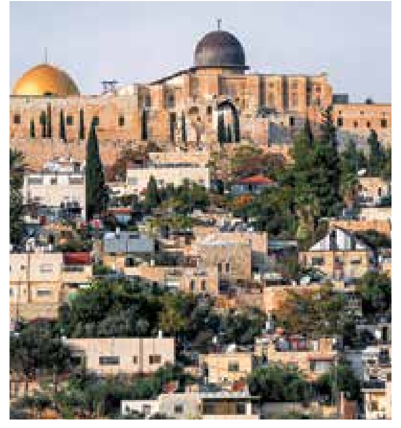

هذا البُرْجُ الذي يَرفُضُ أَنْ يَنْهار/ رَغْمَ أَنَّ كُلَّ بلْدوزرات الدُّنيا تَضْرِبُ في أساسِه/ هَذه الأيقونةُ التي تَظَلُّ ناصِعَةً على حائط عالٍ/ رَغْمَ تَراشُقِ الوَجْل/ رَغْمَ الحَضيضِ الذي يَلحَقُ بأخيهِ الحَضيض
هذا الحُبُّ الذي يَرْفُضُ أَنْ يَنْتَهي/ رَغْمَ أَنَّ أَصحابَهُ انْتَهوا.
يا ربّ، أَيَّ كأسٍ تُريد/ أَجْرَعُهُ/ لكِنْ أَجِزْ عَنّي بِلادي.

تصويب

الزلزال

ثقافة العمق هذه هي التي اصطدمت بها الموجة الصهيونية حين تدفّقت إلى لبنان في أوائل الثمانينيات، وانكسرت، ويتواصل انكسارها منذ ذلك الوقت بعد كلّ اندفاعة سواء كانت نحو جنين أو غزّة، إلى أن اتّضح أن العمق الذي اصطدمت به هو العمق الشعبي، وهو ذاته العمق الذي ينهض الآن في فلسطين كلّها بشكل لا يُذهل إلّا ذوي العقول المزروعة بمستعمرات من كل الأنواع، ولكنه، بالنسبة للأصحّاء، لا يزيد على تذكيرهم بأنّ ما حفظته ذاكرة آبائهم وأمّهاتهم، وما مدّتهم به رواياتهم عن انتفاضات وثورات العرب في أرياف العراق وسورية وفلسطين والمغرب، أي عن ثقافة المقاومة السارية من الأجداد إلى الأحفاد، ليس تخيّلاتٍ بل وقائعَ وحقائق مَثُلت وما تزال تنتظر المثول من جيل إلى جيل.

من هنا يمكن أن نفهم عمق اليأس الذي يتغلغل في أعماق قطعان المستعمرين الصهاينة الآن، فهم لم يعجزوا فقط عن استعمار مخيّلة وثقافة هذا العمق الشعبيّ، حتى مع اتفاقيات الاستسلام التي جرّ إليها الأميركيون، ومَن والاهم، نطائحَ ومترديات عددٍ من «ولاتهم» العرب الذين هم ليسوا سوى دمى يحرّكونها فتظهر أشباحها على ستارة هذه الدولة أو تلك، بل لم يعودوا قادرين على النجاة من الزلزال الذي يُحدثه نهوض الشعب الفلسطيني على كامل ترابه الوطني، فيرتجفون، ويترنّحون، وهم يتشبّثون بالساحل الفلسطيني الذي أقاموا عليه مستعمراتهم، ولم تغادرهم مخاوفهم الجاثمة على صدورهم منذ ما يقارب سبعين عاماً.

... الأسعد

نهوض بلسان أجيال وأجيال ونار بعد نار

ثقافةٌ هي العمق الذي يُقاوم

ها نحن نشهد، ويشهد معنا العالم، ابتكار نصّ ثقافة مُحرِّر، سواء كان مكتوباً أو مرسوماً أو مغنّى. نصّ ثقافة يتضاءل أمامه معنى المستعمِر

في القدس القديمة، 1997 (Getty)

محمد الأسعد

ما يحدثُ الآن في فلسطين تمازجٌ بين زمنين؛ زمن اقتلاع شعب من معناه وتشتيته وتذريته في مهبّ الريح في عام 1948، وزمن نهوض هذا الشعب من رماده كما الفينيق، على كامل تراب وطنه، في عام 2021. يقول هذا التمازج بجلاءٍ ما بعده جلاء، إن فلسطين تستعيد معناها وتلمّ شتات أمكنتها وأزمنتها، ليس بالعودة إلى الأمس وما قبله، بل بالاتّجاه نحو المستقبل، وعودة الإنسان الفلسطيني إلى مِلْحه ومائه بعد سنوات من تغييبه في الفيافي والعواصم بعيداً عن أرضه.

ويقول هذا التمازج أيضاً، إن ما يحدث هو تصفية ثقافةٍ قامت على محو وحدة هويّة الشعب والأرض، وزراعة مفاهيم مضلّلة، مثل «فلسطين بيتٌ يُلقي ظلين»، والأرض محلّ نزاع بين «شعبين»، و«عملية السلام»، و«إقامة دولتين»، وما إلى ذلك من أوهام التهمت أحلام أكثر من جيل بالتحرير والعودة، التهمت أحلاماً هي أصدق من تخريف كذبة الملتحقين بعربات الصهاينة بذريعة الواقعية والعقلانية.

مقابل هذا، ها نحن نشهد، ويشهد معنا عالمٌ متنوّع اللغات والأصوات، ابتكار نصّ ثقافةٍ مُحرِّر، سواء كان مكتوباً أو مرسوماً أو مغنّى. مُحرِّر للأنا الفلسطيني بقدر ما هو محرِّرٌ للغير والآخر العربي؛ نصّ ثقافة يتضاءل أمامه معنى المستعمِر الذي اصطنعت له دول الاستعمار الغربي لغة وهويّة وزرعته في فلسطين حين كانت تضع يدها على خريطة الوطن العربي وتشكّلها وتشكّل ثقافتها كما تشاء، وحين كان المحيط العربي وسواحله مسرحاً لأساطيلها في النصف الأوّل من القرن العشرين، وما تلاه.

ما يحدث الآن، مع هذا النهوض الذي يشبه نهوض طائر يمدّ جناحيه شرقاً وغرباً، ليس تحريراً فقط للنصّ الأدبي والفنّي والسياسي والاجتماعي الفلسطيني من استعمار ثقافي تعرّض، وما زال يتعرّض له، هو والنص العربي على حد سواء، بل هو هدمٌ بكل ما تعنيه الكلمة من معنى للمستعمرات التي أقامها الصهاينة، من أيّ جنسية كانوا، في الأدمغة والعقول، مثلما أقاموها على الأرض أيضاً.

يقول هذا النهوض بلسان أجيال وأجيال متتالية، ونار بعد نار، ليس أمام هؤلاء الصهاينة، بمختلف جنسياتهم والبلدان التي جاؤوا منها، إلّا لملمة بقايا لغتهم المصطنعة وهويّتهم المختلقة والرحيل إلى بلدانهم الأصلية.

(شاعر وروائي وناقد من فلسطين)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

حَتَّى ضِباعُهُ وأَفاعيه، أَحْدِبُ عَلَيْها وأُحِبُّها. لقد طوَّح بيَ الشَّكُّ كثيراً في إلهي لكِنّي لَمْ أَشُكَّ بِشَعْبي مَرَّةً واحِدَة، وإِليهِ نَسَبْتُ كُلَّ ما يَسْتَحِقُّ الحياة

بحر عكّا وجزء من سورها (صهيب شواهنة)

إطلالة

تجنيد الأدب

ممدوح عزام

يقدم غسان كنفاني، في كتابه «في الأدب الصهيوني»، ما يؤكّد أن الجملة الراسخة التي تقول إن الأدب لا يمكن إلّا أن يكون مدافعاً عن قيم الحق والخير والعدالة والكرامة الإنسانية، ليست صحيحة بالمطلق. إذ إنّ الأدب الصهيوني الذي ظهر في نهاية القرن التاسع عشر، لكتّاب من اليهود ومن غير اليهود، كان أساسه الفكريّ قائماً على فكرةٍ عنصريّة تدعو إلى قيام دولة مقابل ترحيل شعب. وقال غسان كنفاني إن الصهيونية الأدبية سبقت الصهيونية السياسية، عبر سلسلة من الروايات التي كان لها هدف مباشر وصريح يرفع شعار «العودة إلى أرض إسرائيل».

ليست هذه هي المرّة الأولى في التاريخ التي يُجَنَّد فيها الأدبُ لخدمة القضية السياسية، ولكنّها المرّة الأولى التي يعمل فيها تيّارٌ أدبي من جنسيات متعدّدة لخدمة الصهيونية كفكرة لها هدف محدّد هو إعادة تأهيل ديانة من أجل تكوين شعب يتمّ إعداده لاحتلال أرض شعب آخر هو الشعب الفلسطيني، بعد تجاهل وجوده تماماً.

اللافت أن يكون هذا الأدب المشغول انشغالاً مباشراً بالرسالة السياسية أكثر من انشغاله بقيَم الفن، قد اعتُبر، في الدراسات الثقافية الغربية، درساً في النهضة. ففي الكتاب الجماعي الذي أخذ عنوان «عصور نهضة أخرى» (صدر في سلسلة «عالم المعرفة»، العدد 417)، مُنح موشيه بيلي فصلاً يكتب فيه عن «إحياء اللغة العبرية وتجديد الشعب اليهودي»، تحت العنوان الرئيسي: «كيف سبقت نهضة ثقافية نهضة قومية؟»، وهي مقالة تنطلق من المقدّمات التي بدأ بها غسان كنفاني كتابه، لتصل إلى نتائج مضادّة تماماً للنتائج التي توصّل إليها، معزَّزَةً بتأييد المؤسّسات البحثية في العالم.

ترتبط النهضة التي تشير إليها مقالات الكتاب بالفكرة القومية، حيث تعمل القومية بوصفها نزعةً مجرّدة (توصف بالإنسانية) من أيّ حمولة أخلاقية، أو تاريخية، أو حقائق جغرافية، من أجل أن يعتبر المقدّس من جهة، والشعار السياسي المعدّ للتطبيق من جهة ثانية - هي الأكثر أهمية - صحيحَيْن.

ولهذا يتجاهل كتاب «عصور نهضة أخرى» القضيّة الفلسطينية، في مُجمل بُنيته الفكرية التي تأسّس عليها مشروع إعداده وتأليفه، لصالح فكرة النهضة. وبغضّ النظر عن أنه يعتبر أنّ كل النهضات التي حدثت عقب النهضة الأوروبية كانت تقليداً لها أو استلهاماً، فإنه يعمل لمرّة جديدة، بعد كل ما جرى من اقتلاع للشعب الفلسطيني، على محو تاريخ هذا الشعب. إذ لا يشير المحرّرون بتاتاً إلى أيّ نقص في مقالة موشيه بيلي التي تتجاهل اسم فلسطين، وتتجاهل الشعب الفلسطيني وراء التهليل لموضوع النهضة، ونشوء القوميات، بحيث يبدو كأنّ نشوء القوميات كان يعني في المضمر القضاء على الشعوب الضعيفة.

إذا كنت لن تجد أيّ رواية من تلك الروايات التي أسّست للصهيونية في كتابٍ مثل «عشر روايات خالدة» أو في كتاب مثل «بُناة العالم» - ولن توجد بالطبع -، فإن هذا لا ينفي أنها سوف تظلّ ماثلة بوصفها استخدمت النوع الموصوف بـ«مناصرة الإنسانية» للقيام بأكبر عملية تضليل وتزوير في التاريخ لخدمة هدفٍ لا إنساني.

(روائي من سورية)

فعاليات

جان دوبوفيه: الجمال الوحشي عنوان معرض يُفتتح عند العاشرة من صباح الإثنين المقبل في «مركز باربيكان» بلندن، ويتواصل حتى الثاني والعشرين من آب/ أغسطس المقبل. يختصر المعرض خمسين عاماً من تجربة الفنان الفرنسي (1901 - 1985)، صنع خلالها أعمالاً فنية جريئة باستخدام مواد غير مألوفة.

يُعرض، عند السادسة والنصف من مساء الإثنين المقبل في «دار النمر للفن والثقافة» ببيروت، فيلم **ما هتفت لغيرها** (2008) للمخرج والناقد السينمائي اللبناني **محمد سويد**. يستند الفيلم إلى مذكرات عضوٍ في المقاومة الفلسطينية في السبعينيات، والتي تصوّر رحلة شاعرية في الزمن حيث حلم المقاومون بتغيير العالم، ومقارنتها بواقع بات الشباب فيه يحلمون فقط بالوظيفة.

قصص مختارة لإيميليا بادرو باثان عنوان لقاء افتراضي ينظّمه «معهد ثربانتيس» في عمّان عند الثالثة والنصف من عصر الأربعاء المقبل. يضيء اللقاء تجربة الكاتبة الإسبانية (1851 - 1921) التي تُعد في مقدّمة النساء اللواتي كتبن الرواية في بلادها، ومن أبرز مؤلّفاتها **أديرة أوبوا** و **الطبيعة الأم**.

يُقام، عند السادسة من مساء غدٍ السبت، لقاء افتراضي مع المخرجة وكاتبة السيناريو الفنلندية **بيريو هونكاسالو** (1947/ الصورة) بتنظيم من مبادرة «قافلة بين سينمائيات» في القاهرة. يتناول اللقاء عدداً من أفلام هونكاسالو الروائية والوثائقية، مثل **آكلة النار**، و **ثلاث غرف حزينة**»، و **لهب**، و **ذات ليلة**.